المحاضرة ١٥

ب .نماذج بشريّة مأخوذة من الأساطير القديمة: ويختار الكاتب منها ما يتّسع للتّأويل الخصب ، وما يتحوّل معناه إلى رمز فلسفي أو اجتماعي وتتنوّع هذه المعاني عادة على حسب العصور المختلفة ، وما تتطلّبه من كُتّابها من آراء ومُثُل ومن هذه الشّخصيّات هي نموذج **بيجماليون** ، وهو فنّان من قبرص هام بجمال تمثال من صنعه ، فرجا أفروديت أن يتزوّج من امرأة تشبه التّمثال ، ففعلت أكثر من ذلك ، إذ وهبت التّمثال نفسه الحياة عقاباً له على إعراضه عن الزّواج ، ويرمز بذلك إلى هيام الفنّان بخلقه الفنّي ، وأوّل مَن تحدّث عنه في الأدب هو) أوفيد الرّوماني (في قصصه في المسخ ، ثمّ تناولها شعراء وكتّاب من مختلف الآداب ، وخاصّة من الانكليز منذ الشّاعر الانكليزي) جون مارستون (في قصيدته" نفخ الرّوح في صورة بيجماليون "، ثمّ في ملهاة) وليم شوبنك (والّتي عنوانها" بيجماليون "، وبطله الّذي يمثّل بيجماليون فيها هو هيجنز المتخصّص في دراسة الأصوات ، يُعجب بلهجة)إليز (بائعة الزّهور ؛ لأنّها في لهجتها غير المدنيّة تُتيح له مثالاً فريداً في دراسة الأصوات ، فيلقّنها دروساً تظهر فيها ذكيّة بارعة ، وتظهر في المجتمعات الرّاقيّة بوصفها" دوقة "، إذ أنّ تعليم الأصوات يتطلّب تعليم النّحو ، وتعليم النّحو على طريقة سليمة يستلزم تهذيب الفكر والإحساس ، وبهذا التّعليم تغيّرت طبيعة الفتاة ، ولكن هذا التّغيّير كان شؤماً عليها ، إذ ولّد في نفسها صراعاً بين إحساسها بالفرق بين الطّبقة الّتي نمت منها والطّبقة الّتي تحيا فيها ، وأشدّ ما يؤلمها أنّها لم تكن بالنسبة لأُستاذها سوى موضوع دراسة ، وتعطف عليها والدة" هيجنز "وتلوم ابنها على قلّة اعتداده بالفتاة ، وينتهي الصّراع النّفسي أن ترفض الفتاة البقاء في تلك

الطّبقة ، وتفضّل الزّواج بسائق سيارة أُجرة ، وتأبى الزّواج من أُستاذها الّذي خلقها واعتزّ بها حتّى بعد أن أراد الاحتفاظ بها زوجة ، وفي هذا هجاء اجتماعي باحتقار الفتاة للطّبقة الارستقراطيّة وما بها من تقاليد تافهة .

ج .**نماذج مصدرها ديني** : وهي المأخوذة عن الكتب المقدّسة ، وغالباً ما يبعد بها الكتّاب أو الشّعراء قليلاً أو كثيراً من مصادرها ، وطبيعي أنّا لا نحفل هنا إلّا بالشّخصيّات العالَميّة ، أيّ الّتي انتقلت من أدب أُمّة إلى أدب أُمّة أُخرى ، كي تجد طريقها إلى الدّراسات المقارنة ومنها شخصيّة" يوسف "وشخصيّة" زليخا "في الأدب الفارسي ، كما أخذتا عن القرآن ، ثمّ عن التّوراة وشروحها ، وقد صوّر هاتين الشّخصيّتين شاعران هما) الفردوسي (والّذي بلغ بالشّخصيّتين قمّتهما الفنّيّة في التّصوير الأدبي ، والشّاعر الآخر) عبد الرّحمن الجامي (، وقد بعُدت هاتان الشّخصيّتان قليلاً عمّا نعرفه من القرآن ، بل وضّحت صيغتهما الصّوفيّة في قصّة جامي ، فيوسف في هذه القصّة يعتقد ـ كما يعتقد الصّوفيّة ـ أنّ التّأمُّل في الجمال الإنساني يقود إلى الله ذي الجمال المطلق ، فهو ينصح الأميرة المصريّة بازغة ، حين أتت إليه مدلهة بحبّه ، قائلاً": الجمال في الخلق انعكاس عابر لا يطول بقاؤه ، كنضارة الورد ، فإذا أردت الخلود فتوجّهي إلى أصل الأشياء . "وقد ترهبنت الفتاة على الأثر وزهدت في خير الدُّنيا ، وزليخا ترى في حلمها ـ وهي فتاة صغيرة ـ "يوسف "قبل أن تعرفه ويبدو لها في حلمها أنّه سيكون زوجها المقبل ، ثمّ تعرفه بعد ذلك وهو أمين مخازن زوجها ، وكانت مقيمة على حبّها لفتى حلمها ، إنّها تظلّ عذراء مع زوجها طوال حياته ، وهذا قريب من الزّواج الصّوفي الّذي عزاه الصّوفيّة كذلك إلى شخصيّة" ليلى "في الأدب الفارسي والتّركي ، وتظلّ العاطفة قويّة لدى

زليخا ، كما تظلّ ليوسف نظراته الصّوفيّة ، حتّى يسلم بتولّه زليخا في حبّه ، وأنّها ـ وقد هرمت وعميت ـ تُقيم في كوخ من اليراع تستمع إلى وقع سنابك حصان يوسف على الطّريق ، فيدعو الله أن يردّ لها شبابها وبصرها ، ويستجيب الله له ، ثمّ لا يلبث بعد زواجه أن يملّ نعيم هذه الدُّنيا ، فيسأل الله أن يُعجّل برحيله إلى دار النّعيم ، فتموت زليخا حزناً عقب وفاته ومن النّماذج الّتي كان لها حظّ كبير في الأدب في العصور الحديثة ، شخصيّة" الشّيطان "، وقد ابتعدت هذه الشّخصيّة عن مصدرها الدّيني ، حين انتقلت إلى ميدان الأدب ، وبخاصّة على يد الرّومانتيكيّين ، ورائدهم في هذا الميدان) ملتن (في" الفردوس المفقود "، والشّخصيّة الأولى في فردوسه هي الشّيطان ، ويصوّر فيه المؤلّف النّزعة إلى الحريّة والاستقلال ، والاعتماد على الحجّة ، وقوّة شخصيّة الفرد إزاء القوى الّتي تفوق قدرته ، وكان الشّيطان حامل آراء المؤلّف في ذلك كلّه ، ممّا جعل الشّاعر الانكليزي) وليم بليك (يقول عنه": الّذي جعل ملتن يسترسل جزئيّاً في حديثه عن الشّياطين والجحيم ؛ أنّه كان شاعراً حقّاً ، وأنّه كان من حزب الشّياطين دون ان يدرك . "

وقد وضّحت سمات الشّيطان في أدب الرّومانتيكيّين جميعاً ، فصوّروه في صورة المتمرد الّذي طُرِدَ قهراً من عالَم الخير ، فدفعه اليأس إلى الإدمان على الشّر ، وهو بائس متمرّد على بؤسه لا يقرّ له سبباً ، وفيه تتمثّل مأساة الخليقة عند الرّومانتيكيّين ، فيجعله) بيرون (يستمع إلى قابيل يقول له": لماذا أنا موجود ؟ ولماذا أنت بائس ؟ ولِمَ كانت كلّ الموجودات كذلك ؟ "والشّيطان عند) فكتور هيجو (يمثّل الإنسانيّة الطّريدة البعيدة من الله ، وينحصر كلّ عذابه في حبّه لمن يبغضه ، وفي أنّ الله ـ وهو النّور والحبّ ـ يفيض نوره على كلّ المخلوقات خيراً ورحمة ونوراً ،

وهو يحسد بني آدم ؛ لأنّ في عيونهم الأمل وفي قلوبهم الحبّ ، ولكن ما يسبّبه الشّيطان من صراع بين الخير والشّر هو أساس ما يظفر به الإنسان من حريّة وفوز حتّى ينتصر ـ في الزّمن البعيد ـ للخير انتصاراً تامّاً ، ويظلّ النّهار لا ليل له ، فيمحا ما في الشّيطان من شرّ ، ويسامحه الله ليبعث من جديد مَلَكاً سماويّاً .